

أوائل المسلمين

١٠

إسلام أبي ذر الغفاري

بقلم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام أبي ذر الغفاري

بقلم
السيد شحاته

مكتبة
الطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمُبْعُوثِ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى
يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدُ :

فَهَذِهِ صُورَةٌ صَادِقَةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ .
لَصَفْوَةٍ مِنَ الصُّحَابَةِ الْأَجَلَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا
وَضَحَّوْا بِالْغَالِي وَالنَّفِيسِ فِي نَشْرِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ .

وَقَدْ جَاءَتْ رَاطِعَةُ الْأَسْلُوبِ ، قَرِيبَةً إِلَى الْأَذْهَانِ .

وَاللَّهُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُفِيدَةً هَادِيَةً ، وَأَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا كُلُّ
مُسْلِمٍ لِأَنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ صَفَحَاتِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ
الْعَظِيمِ .

وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

جَاهِلِيَّةُ عَمِيَاءَ

عاشَ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، يَعْبُدُونَ
الْأَصْنَامَ ، وَيُطْلِقُونَ عَلَيْهَا أَسْمَاءً ، فَهَذَا صَنَمُ اسْمُهُ (مَنَاة) ،
وآخرُ اسْمُهُ (العُزَّى) ، وثالثُ اسْمُهُ (هُبَل) ، ورابعُ ، وخامسُ .
كما شاعَ فِيهِمُ الْقِتَالُ وَالْحَرْبُ ؛ لِأَثْفَةِ الْأَسْبَابِ ، وَأَمَعُونَا فِي
ارْتِكَابِ الْحَرَّمَاتِ : يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَيَلْعَبُونَ الْمَيْسِرَ ، وَيَعِيشُونَ
فِي ظَلَامٍ مِنَ الْجَهْلِ وَالْفَسَادِ .

نَفُوسٌ طَاهِرَةٌ

وَسَوَادُ اللَّيْلِ لَا يَسْتَمِرُّ أَبَدًا عَلَى الْكَوْنِ ، فَلَا بُدَّ مِنْ خُطُوطِ
لِلنُّورِ تَظْهَرُ بَاهِتَةً ، ثُمَّ تَنْفُضُ الظَّلَامَ شَيْئًا فَشَيْئًا ، حَتَّى يَلْمَعَ نُورٌ
وَضَاءٌ .

فَلَا عَجَبَ إِذْنًا أَنْ يَكْرَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْفَاسِدَةَ
وَلَيْسَ بِمُسْتَعْرَبٍ أَنْ يَكْرَهُوا مَا فِيهَا مِنْ ضَلَالٍ وَجَهَالَةٍ ، وَلَيْسَ
بِبَعِيدٍ أَنْ يَدْفَعَهُمْ إِحْسَاسُهُمُ الطَّاهِرُ إِلَى نَبْذِ الْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ ،
الَّتِي يَرَوْنَهَا فِي قَوْمِهِمْ .

وَفِي يَوْمٍ جَمَعَتْ بَيْنَهُمُ الْمَصَادِفَةُ ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ :

- يَا قَوْمُ ، تَعْلَمُونَ - وَاللَّهِ - مَا قَوْمُكُمْ عَلَى حَقٍّ !

- لَقَدْ أَخْطَأُوا دِينَ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ .

- حَجَرٌ نَعُكْفُ عَلَى عِبَادَتِهِ وَهُوَ لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يَنْصُرُ ، وَلَا

يُضُرُّ ، وَلَا يَنْفَعُ .

- يَا قَوْمُ ، اتَّبِعُوا هِدَايَةَ لَأَنْفُسِكُمْ ، وَاطْلُبُوا دِينًا

صَاحِبِيًّا ، تَسِيرُونَ عَلَى مِنْهَاجِهِ ، فَإِنَّكُمْ - وَاللَّهِ - لَسْتُمْ عَلَى حَقٍّ .

كَانَ بَعْضُ الْأَطْهَارِ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ يُنْقَلُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
هَذَا الْحَدِيثَ ، عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِهِمْ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَطْهَارِ رَجُلٌ صَاحِبُ عَقْلٍ
وَبَصِيرَةٍ ، هُوَ : جَنْدَبُ الْغِفَارِيُّ .



جندب الغفارى

مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، وَأُمُّهُ رَمْلَةٌ بَنَتْ رَبِيعَةً ، مِنْ غِفَارٍ أَيْضًا ، وَقَدْ
لُقِّبَ بِأَبِي ذَرٍّ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ، اسْمُهُ (ذَرٌّ) وَاشْتَهَرَ بِهِ ، وَلَمْ
يُذَكَّرْ إِلَّا أَنَّهُ (أَبُو ذَرٍّ)

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ رِجَالِ الْعِلْمِ الْمُمْتَازِينَ ،
وَأَصْحَابِ التَّفَكُّيرِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَأَهْلِ الْبَصِيرَةِ ، وَالرَّأْيِ السَّلِيمِ .
وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَقَبْلَ أَنْ يَعْتَنُقَ دِينَ
الْإِسْلَامِ ، كَانَ قَبْلَ هَذَا يَتَّجُهُ إِلَى خَالِقِهِ ، وَخَالِقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، يَتَّجُهُ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ ، وَبِفِطْرَتِهِ ، وَبِطَبِيعَتِهِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ
لِابْنِ أَخِيهِ :

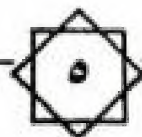
- لَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ سِنِينَ ،
فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَخِيهِ :

- صَلَّيْتُ لِمَنْ ؟

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ :

- اللَّهُ ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ .

فَقَالَ ابْنُ أَخِيهِ :



- فَأَيْنَ كُنْتَ تَتَوَجَّهُ ؟

قَالَ أَبُو ذَرٍّ :

- حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

نَزَلَ بِقَبِيلَةِ (غِفَارِ) جَذْبٌ وَقَحْطٌ ، وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ الْمَطَرُ ،
وَجَفَّ الزَّرْعُ وَهَزِلَتِ الْأَبِلُ ، وَصَارُوا فِي ضَيْقٍ شَدِيدٍ فَاعْتَرَمَ الْقَوْمَ
أَنْ يَرْحَلُوا إِلَى الْكَعْبَةِ ، حَيْثُ نُصِبَتْ هُنَاكَ الْأَصْنَامُ يَدْعُونَ هُنَاكَ
عِنْدَ الصَّنَمِ (مَنَاة) فَهُوَ إِلَهُ الْمَطَرِ عَلَى حَدِّ تَصَوُّرِهِمْ وَتَفْكِيرِهِمْ .
شَدَّ الْقَوْمُ جَمِيعًا رِحَالَهُمْ إِلَّا جُنْدَبَ ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ لِنِدَاءِ
الْقَوْمِ ، وَلَمْ يَتَّهِيًا لِلرَّحْلَةِ ، كَمَا تَهَيَّئُوا ، وَلَمْ يَسْتَعِدُّوا كَمَا اسْتَعِدُّوا ،
بَلْ ظَلَّ فِي دَارِهِ مُقِيمًا ، لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَنْضَمْ إِلَى
رِكَابِهِمْ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ مَنَاةَ لَيْسَتْ لَهُ فَايِدَةٌ ، وَلَا يُغْنَى فِي
نُزُولِ الْمَطَرِ ، أَوْ مَجِيءِ الرِّخَاءِ .

إِلَّا أَنْ أَخَاهُ (أَنِيسَ) دَخَلَ إِلَيْهِ ، وَاتَّكَرَ عَلَيْهِ تَكَاسُلُهُ ،
وَتَقَاعُدُهُ ، وَقَالَ لَهُ :

يَا أَبَا ذَرٍّ : لَا بُدَّ أَنْ نَخْرُجَ جَمِيعًا مَعَ الْقَوْمِ ، وَإِلَّا كَانُوا حَرَبًا
عَلَيْنَا ، وَشَرًّا دَائِمًا يُحِيطُ بِنَا .



فَقَامَ أَبُو ذَرٍّ ، وَخَرَجَ مَعَ الْقَوْمِ ، وَهُوَ مُوقِنٌ أَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالٍ ، وَأَنَّ رِحْلَتَهُمْ إِلَى مَنَاةَ لَنْ تَجْرَ عَلَيْهِمْ نَفْعًا .

حَطَّ الْقَوْمُ جَمِيعًا رِحَالَهُمْ عِنْدَ مَنَاةَ ، فِي مَكَّةَ ، وَاسْتَمَرُّوا فِي الصَّلَاةِ لِإِلَهِهِمُ الصَّنَمِ ، وَمَعْبُودِهِمُ الْحَجَرِ ، وَهُوَ - طَبَعًا - لَا يَسْمَعُ ، وَلَا يُبْصِرُ ، اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا وَلَيَالِي .

وَفِي لَيْلَةٍ نَامَ الْقَوْمُ جَمِيعًا ، وَغَرَقُوا فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ إِلَّا أَبَا ذَرٍّ ، فَإِنَّهُ ضَمَّ يَدَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ ، وَثَبَّتَ عَيْنَيْهِ فِي السَّمَاءِ ، وَاتَّجَهَ إِلَى خَالِقِ الْكَوْنِ ، رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَبَعْدَ أَنْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ ، وَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُ عَلَى الْخُشُوعِ لِخَالِقِهِ الْحَقِّ ، دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى التَّفَكُّيرِ فِي أَمْرِ الْقَوْمِ وَأَمْرِ إِلَهِهِمْ ، فَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ فِي خِفَّةٍ ، وَمَشَى نَحْوَ تَمَثَالِ مَنَاةَ وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ سَاكِنًا ، لَا يَحْسُ ، وَلَا يَسْمَعُ ، وَلَا يَرَى ، فَتَنَاولَ حَجَرًا ، وَرَمَاهُ بِهِ ، فَلَمْ يُحَرِّكْ ذَلِكَ فِيهِ شَيْئًا ، فَقَالَ لَهُ :

- إِنَّكَ عَاجِزٌ لَا قَادِرٌ ، مَخْلُوقٌ لَا خَالِقٌ ، لَا حَوْلَ لَكَ ، وَلَا قُوَّةَ ، فَعَلَامَ تُعْبَدُ ؟ إِنَّ قَوْمِي فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ .





وَعَادَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى مَضْجَعِهِ هَادِي النَّفْسِ ، مُطْمَئِنِّ الْبَالِ ، ثُمَّ رَاحَ
فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ .

* * *

أَصْبَحَ الصَّبَاحُ ، وَنَادَى مُنَادِي الْقَوْمِ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى مَنَاةَ
يُصَلُّونَ أَمَامَهُ فَقَامُوا فَصَلُّوا ، وَدَعَوْا ، وَطَلَبُوا الْمَطَرَ وَالرَّخَاءَ .
ثُمَّ اتَّجَّهُوا إِلَى دِيَارِهِمْ عَائِدِينَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، وَبَعْدَ انْتِهَاءِ
رَحْلَتِهِمْ حَطُّوا مَتَاعَهُمْ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ ، فَسَكَنَ الْحَيُّ ،
وَنَامَ النَّاسُ جَمِيعًا إِلَّا أَبَا ذَرٍّ ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَطْلُبُ التَّوَمَ فَلَا
يَسْتَجِيبُ لَهُ .

أَخَذَ يُفَكِّرُ فِيمَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ ، وَبَسَطَ الْأَرْضَ ؟ وَمَنْ الَّذِي
أَرَسَى هَذِهِ الْجِبَالَ الضَّخْمَةَ ؟ وَمَنْ أَوْقَدَ شَمْسَ النَّهَارِ الْمُتَوَهِّجَةَ ؟
وَمَنْ الَّذِي خَلَقَهُ وَجَعَلَ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ؟ وَجَعَلَ لَهُ
تَفْكِيرًا يَهْدِيهِ ، وَنَفْسًا تَذْهَبُ بِهِ إِمَّا إِلَى الْخَيْرِ ، وَإِمَّا إِلَى الشَّرِّ ؟
لَمْ يَهْدَأْ أَبُو ذَرٍّ عَنِ التَّفَكِيرِ فِي الْخَالِقِ الْعَظِيمِ ، رَبِّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

* * *

نور في مكة

و ذات يوم جلس أبو ذرٍّ مع أخيه أنيس في دارهما ، وأقبل عليهما رجل ، سلّم عليهما ، وجلس معهما .

ف سأله أبو ذرٍّ :

- من أين الرجل الكريم ؟

ف قال :

- من مكة ، أرض الحرم .

ف قال أبو ذرٍّ :

- وماذا في مكة من أمور ، تشغل الناس ؟

ف قال الرجل :

- ظهر بها رجل يدعى أنه نبي ، يدعو الناس إلى ترك

الآلهة ، واحتقار الأصنام ، ويدعو إلى عبادة إله واحد ، يقول

إنه خالق السموات والأرض !!

ف قال أبو ذرٍّ :

- وماذا أجابه الناس ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

— لَقَدْ سَخِرُوا مِنِّي ، وَأَذَوْهُ ، وَمَنَعُوا النَّاسَ عَنْهُ ، وَكَيْفَ
يَسْتَمْعُونَ إِلَى رَجُلٍ يَغِيبُ آهَتَهُمْ ، وَيَهْزَأُ بِعِبَادَتِهِمْ ، وَيُنْكِرُ مَا
كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ ؟

إِنَّهُ قَدْ جَعَلَ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا .

فَاطْرَقَ أَبُو ذَرٍّ يُفَكِّرُ ، وَيَتَأَمَّلُ هَذَا الْخَبَرَ الْحَبِيبَ إِلَى نَفْسِهِ ،
الْقَرِيبَ إِلَى تَفْكِيرِهِ ، وَظِلَّ صَامِتًا ، يُفَكِّرُ ، وَيُفَكِّرُ .
وَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ شَارِدًا تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ .

نَادَى أَبُو ذَرٍّ أَخَاهُ أُنَيْسًا وَقَالَ لَهُ :

— اذْهَبْ إِلَى مَكَّةَ ، فَتَعَرَّفْ عَلَى خَبَرِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ
أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اثْنِي بِخَبَرِهِ .

تَجَهَّزَ أُنَيْسٌ لِلرَّحَلَةِ ، وَسَارَ يَضْرِبُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَ مَكَّةَ
فَاتَّجَعَتْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ، وَطَافَ بِهَا عَلَى عَادَةِ قَوْمِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

ثُمَّ نَظَرَ فَوَجَدَ جَمَاعَةً كَبِيرَةً مِنَ النَّاسِ ، تَلْتَفُّ حَوْلَ رَجُلٍ
بَعْظُهُمْ ، وَيُعْرِفُهُمْ ، وَوَجَدَ أَعْرَابِيًّا آتِيًا مِنْ عِنْدِهِمْ ، فَسَأَلَهُ :

— مَا هَذَا الْجَمْعُ الْكَبِيرُ حَوْلَ هَذَا الرَّجُلِ ؟

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ :

— الصَّابِيُّ ، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى دِينِهِ الْجَدِيدِ !!

فَاسْرِعْ أُنَيْسُ نَحْنُ الْجَمْعُ الْمُحْتَشِدُ ، فَوَجَدَ رَجُلًا يَقُولُ :

— الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَحَمَدُهُ ، وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ

عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ يَنْفَضُّونَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ :

إِنَّهُ كَاهِنٌ ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : إِنَّهُ شَاعِرٌ ، وَيَقُولُ ثَالِثٌ : إِنَّهُ

سَاحِرٌ .

سَمِعَ أُنَيْسُ قَوْلَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، وَرَأَى فِيهِ صِدْقًا وَحَقًّا ،

فَقَالَ :

— وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لِحَلَاوَةً ، وَإِنَّهُ لَصَادِقٌ ، وَهُمْ الْكَاذِبُونَ .

ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، عَادَ لِيَلْقَى أَبَا ذَرٍّ أَخَاهُ فِي

غِفَارٍ .

قَالَ أَبُو ذَرٍّ لِأَخِيهِ :

— مَا عِنْدَكَ يَا أُنَيْسُ ؟

فَقَالَ أُنَيْسُ :

- وَاللّٰهُ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ . فَقَالَ لَهُ
أَخُوهُ أَبَا ذَرٍّ :

- لَمْ تَأْتِ لِي بِخَيْرٍ شَافٍ ، أَمَّا تَذْكُرُ شَيْئًا مِّمَّا يَقُولُ ؟
قَالَ أَنَيْسٌ :

- إِنَّهُ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ .
مَا سَمِعَ أَبُو ذَرٍّ هَذَا حَتَّى قَالَ لِأَخِيهِ :
- اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَنَا سَائِرُ إِلَى مَكَانِ هَذَا النَّبِيِّ .
فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ :

- احْذَرِ أَهْلَ هَذَا النَّبِيِّ ، فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ لَهُ ، يُعَادُونَ مَنْ
يُصَدِّقُهُ .

أَخَذَ أَبُو ذَرٍّ حَقِيْبَةً ، فِيهَا طَعَامٌ ، وَحَمَلَ عَصَاهُ ، وَرَحَلَ إِلَى
مَكَّةَ وَلَمَّا نَزَلَ بِهَا لَمْ يَسْأَلْ عَنْ مُحَمَّدٍ ، مَخَافَةَ أَنْ يَضْطَرَّ بِأَحَدٍ
مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ مَكَثَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ ،
وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ فِي سَوَادِهِ الْكَثِيفِ ، وَنَامَ أَكْثَرُ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ ، كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْكَعْبَةِ وَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، لِيَطُوفَ
بِالْبَيْتِ ، فَمَرَّ بِأَبِي ذَرٍّ ، فَتَنَظَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
- كَانَ الرَّجُلَ غَرِيبًا .

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ :

- نَعَمْ .

فَقَالَ عَلِيٌّ :

- انْطَلِقْ مَعِيَ إِلَى الْمَنْزِلِ .

فَانْطَلَقَ أَبُو ذَرٍّ مَعَهُ ، لَا يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ ، خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْدَاءِ النَّبِيِّ .

وَنَامَ أَبُو ذَرٍّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي مَنْزِلِ عَلِيٍّ ، وَقَضَى لَهُ حَقُّ الضِّيَافَةِ .

وَلَمَّا جَاءَ الصَّبَاحُ ذَهَبَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الْمَسْجِدِ ، لِيَتَعَرَّفَ فِي حَذَرٍ عَلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَدُلَّهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ .

وَمَكَثَ مُعْظَمَ نَهَارِهِ حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ ، فَهَرَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ . فَقَالَ لَهُ :

- أَلَمْ تَعْرِفْ لَكَ مَنْزِلًا لِلْآنَ ؟

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ :

- لَا .

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

- انْطَلِقْ مَعِي .

فَانْطَلَقَ مَعَهُ أَبُو ذَرٍّ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ :

- مَا أَمْرُكَ ؟ وَمَا أَقْدَمَكَ إِلَى هَذِهِ الْبَلَدَةِ ؟

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ :

- هَلْ تَكُنُّمُ أَمْرِي إِنْ أَخْبَرْتُكَ ؟

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ :

سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاصْدُقْنِي الْحَدِيثَ .

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ :

- بَلَّغْنَا أَنَّهُ خَرَجَ هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي ،

لِيَأْتِيَنِي بِأَخْبَارِهِ ، وَلِيُكَلِّمَهُ ، وَيَعْرِفَ أَمْرَهُ ، فَرَجَعَ إِلَيَّ ، وَلَمْ

يَحْمِلْ لِي خَبْرًا شَافِيًا ، فَجِئْتُ إِلَى هُنَا ، لِالْتِقَاءِ . فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ

كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

- لَقَدْ اهْتَدَيْتَ إِلَى الطَّرِيقِ ، وَأَرْشَدَكَ إِيْمَانُكَ لِلْحَقِّ ، هَذَا

طَرِيقِي ، فَاتَّبِعْنِي ، ادْخُلْ مِنْ حَيْثُ ادْخُلْتُ فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا

أَخَافُهُ عَلَيْكَ جَهْدْتُ فِي مَنَعِ الْأَذَى عَنْكَ .

فَمَضَى مَعَهُ أَبُو ذَرٍّ ، وَهُوَ يَحْسُ بِالسُّرُورِ يَشِيعُ فِي نَفْسِهِ فَقَدْ

هَدَاهُ حَظُّهُ السَّعِيدُ إِلَى أَقْرَبِ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ الْعَظِيمِ .

كَمَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ،
الدَّاخِلِينَ فِي زُمْرَةِ الْحَقِّ ، زُمْرَةِ الْمُسْلِمِينَ .

وَدَخَلَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَدَخَلَ مَعَهُ
أَبُو ذَرٍّ .

فَقَالَ :

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

- وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . مَنْ أَنْتَ ؟

فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ :

- مِنْ غِفَارٍ ، اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- يَا أَبَا ذَرٍّ ، اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ ، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ فَإِذَا بَلَغْتَ

ظُهُورَنَا فَأَقْبَلْ .

قَالَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ذَلِكَ لِأَيِّ ذَرٍّ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ أَدَى الْكُفَّارِ
وَهُوَ رَجُلٌ غَرِيبٌ لَاحِقَامِي لَهُ وَلَا نَصِيرَ .

وَلَكِنْ أَبَا ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

- وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَصْرَحَنْ بِهَا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ، ثُمَّ خَرَجَ
أَبُو ذَرٍّ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَالْإِيمَانُ يَمْلَأُ نَفْسَهُ وَيُعِزُّ أَمْرَهُ ، وَيَبْعَثُ
الثِّقَةَ بَيْنَ جَوَانِبِهِ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ صَرَخَ صَرْخَةَ الْحَقِّ ،
وَقَالَ :

- بِأَمْعَشَرِ قُرَيْشٍ ، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

مَا إِنْ سَمِعَ أَهْلُ مَكَّةَ الْمُجْتَمِعُونَ فِي الْمَسْجِدِ هَذَا الْقَوْلَ الصَّرِيحَ
مِنْ أَبِي ذَرٍّ ، حَتَّى أَسْرَعُوا إِلَيْهِ ، يَضْرِبُونَهُ وَيَضْرِبُونَهُ حَتَّى أَوْشَكَ
عَلَى الْمَوْتِ .

وَلَمْ يُنَجِّهِ إِلَّا أَنْ أَبْصَرَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ ، وَرَفَى بِنَفْسِهِ فَوْقَهُ ؛ لِيَمْنَعَ عَنْهُ الْأَذَى ، وَصَرَخَ فِي
بَنِي قُرَيْشٍ :

- كَيْفَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ ، وَأَنْتُمْ تَمُرُّونَ بِتِجَارَتِكُمْ
رَاحَتِينَ غَادِينَ عَلَيْهِمْ ؟



فامتنع القوم عنه ، تحت حياية العباس - رضى الله عنه -
ولمّا قام أبوذر جري نحو بئر زمزم فشرب وتطهر وغسل عنه
الدّم ، وخرج من الكعبة ، وذهب إلى رسول الله عليه الصّلاة
والسّلام . فوجد عنده أبا بكر الصّدّيق ، فلمّا عرف شأنه ..
قال له :

- متى أتيت هاهنا يا أباذر ؟

فقال أبوذر :

- أنا هنا منذ ثلاثة أيّام .

فأخذه أبو بكر إلى منزله ، وأطعمه وأكرمه .

ثمّ أعدّ أبوذر نفسه ، ليعود إلى أهله غفّار ، والإيمان يملأ
قلبه ، ونفسه راضية مطمئنة إلى الدين الجديد ، دين العقل
والحقّ لادين السّفه والحمق والضّلال .

ولمّا نزل في غفّار أسرع إلى أخيه (أنيس) وإلى أمّه رَملة .

قابله أنيس فقال له :

- ما صنعت ؟

فقال أبوذر :

أسلمت وصدّقت .. إنه - يا أنيس - دين الحقّ ، وإنّي أدعوك

إليه .

وَأَخَذَ أَبُو ذَرٍّ يَقْصُ عَلَى أَخِيهِ (أُنَيْسٍ) أَخْبَارَ رِحْلَتِهِ مُنْذُ أَنْ
غَادَرَ مَنَزْلَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ .

أَخْبَرَهُ بِضِيَاةٍ عَلَى ، وَضِيَاةٍ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَخْبَرَهُ بِلِقَائِهِ لِلنَّبِيِّ
الكَرِيمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَمَا شَاهَدَهُ مِنْ صِدْقِ حَدِيثِهِ وَسَمُو
عَقْلِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ وَطِيبِ عَشْرَتِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

— يَا أُنَيْسُ ؛ لَقَدْ هَدَانَا اللَّهُ بِهِ ، وَأَرْشَدَنَا إِلَى دِينِ الْحَقِّ وَالْعَقْلِ
بَدَلًا أَنْ كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ ، وَالْأَصْنَامَ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ .

أَفَلَا تُؤْمِنُ كَمَا آمَنْتُ يَا أُنَيْسُ ؟

قَالَ أُنَيْسُ :

— أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .
فَسَرَّ بِذَلِكَ أَبُو ذَرٍّ سُرورًا عَظِيمًا .

ثُمَّ ذَهَبَا إِلَى أُمِّهِمَا (رَمْلَةَ بِنْتِ رَبِيعَةَ) .

فَلَمَّا رَأَتْ أَبَا ذَرٍّ قَالَتْ لَهُ :

— مَا رَأَيْتَ فِي مَكَّةَ يَا أَبَا ذَرٍّ ؟

فَقَالَ :

— رَأَيْتُ رَجُلًا أَفْضَلَ قَوْمِهِ مُرَوَّةً ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا ،

وَأَكْرَمَهُمْ مُخَالَطَةً ، وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا وَأَمَانَةً ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ،
وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْفُحْشِ وَالْأَذَى .

سَمَاءُ قَوْمِهِ الْأَمِينِ ، يَدْعُو إِلَى اللَّهِ بِالْحُسْنَى ، وَيُنْهَى عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ .

فَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وَأَسْتَمِرُّ أَبُو ذَرٍّ فِي قَوْمِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ إِلَى نُصْرَةِ
النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، وَأَسْتَمِرُّ فِي صُحْبَتِهِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَحَضَرَ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ سَنَةَ ٣٢ هـ .

لَقَدْ وَقَفَ أَبُو ذَرٍّ (وَهُوَ كَمَا وَصَفَهُ النَّبِيُّ الْعَظِيمُ ﷺ «أَصْدَقُ
الْعَالَمِينَ لَهْجَةً») يُسَائِلُ مُعَاوِيَةَ فِي غَيْرِ خَوْفٍ عَنْ ثَرَوَاتِهِ قَبْلَ أَنْ
يُصْبِحَ حَاكِمًا ، وَعَنْ ثَرَوَاتِهِ الْيَوْمَ .. سَأَلَهُ عَنْ بَيْتِهِ فِي مَكَّةَ ،
وَعَنْ قَصْرِهِ فِي الشَّامِ ، بَلْ قَصُورِهِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيَسْأَلُ الصَّحَابَةَ
الَّذِينَ صَحَبُوهُ إِلَى الشَّامِ وَصَارَ لَهُمْ قُصُورٌ ، ثُمَّ يَصْبِحُ فِيهِمْ

قائلاً : أنتم الذين نزل فيكم القرآن ، وشهدتُم مع الرسول العظيم
المشاهد ، ثم يُجيبُ عنهم :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ يَوْمَ يُخَمَّنُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى

بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ

لِأَنْفُسِكُمْ تَقْنِزُونَ ۝٢٢﴾

